تأثير وسائل الاتصال الجماهيري على التربية الجنسية في المجتمع الجزائري

سيدي موسى ليلى[1]

ارتبط الجنس منذ القدم بالعديد من المحرمات والشعائر الدينية، حيث انتشرت بعض المفاهيم–التي تقول بأن الأخلاق الحسنة تقتضي الابتعاد عن كل عمل جنسي، ذلك أن الجنس إثم وخطيئة، وقد بقي كثير من هذه المفاهيم والأفكار سائدا في المجتمعات إلى يومنا هذا .

فكل دول العالم اليوم تسعى إلى القضاء على الجريمة ,الانحراف, والأمراض بكل الوسائل وتعمل على ذلك بإقامة البرامج والتنظيمات ولكنها مع ذلك لم تحاول أن تحل مشكلتها مع الجنس البشري والذي هو أساس كل المشكلات, فكثير من الجرائم والانحرافات والأمراض سببها الجهل أو تعمده لذات وجسم الإنسان، الذي يملك العديد من الطاقات التي يجب توجيهها وأخرى يجب اكتشافها لإمكانية التحكم فيها .

وما يشد الاهتمام هو أن الإسلام والسنة النبوية من خلاله، نجدها قد تناولت الموضوع من دون حرج أو إثارة، وذلك من خلال فصل الدين في المسألة الجنسية عن طريق آيات وأحاديث نبوية شريفة، لا مجال للشك فيها، ولم تترك مجالا خاصا بهذا الجانب ولم تتناوله، من منطلق أن لا حياء في الدين، وربما يمكن القول أن الأفراد لم يجدوا من يشرح لهم هذه الأحكام الشرعية بدون مناسبة تذكر، فنحن في المجتمعات العربية لا نتناول أي شيء إلا عندما يحين وقته وغالبا ما يكون على عتبة الزواج، وهذه هي الثقافة المجتمعية لمجتمعاتنا.

ولذلك فإن هدف هذا البحث العلمي هدف أي علم يوصل إلى الحقيقة، وعلم الاجتماع على الأخص يهدف إلى فهم حقيقة المجتمع والعلاقات القائمة فيه والتي تحدث وضعيات اجتماعية معينة ، فالهدف يتمثل في محاولة الكشف عن واقع التربية الجنسية في المجتمعات العربية وخاصة الجزائر، وهل هي موجودة أم لا ؟

وهل برغم التغيرات التي حدثت في المجتمع الجزائري لا سيما انفتاحه على العالم الخارجي بقي المجتمع محافظا على موقفه بإهماله لهذا النوع من التربية، لا سيما بعد ظهور أمراض مرتبطة بالناحية الجنسية SIDA مثلا.

هل هذا الإهمال مازال قائما، أم أن هناك محاولات لتصحيح كل هذا ؟ بالإضافة إلى أننا نهدف إلى معرفة مدى نجاح المجتمع والأسرة في منع أبنائهم من الحصول على معلومات جنسية.

ويزداد تأثير وسائل الإعلام (الفضائيات خصوصا) يوما بعد يوم في سلوك الأفراد واتجاهاتهم خاصة بعد التطور الحاصل في الوسائل التكنولوجية المتقدمة والتي تسمح بنقل جيد وسريع للمعلومات، كما أن تأثيرها يتعاظم لأنها تقوم بنشر المعلومات المتنوعة والمختلفة حول كافة الموضوعات والمجالات، بدون تحديد للأعمار بالإضافة إلى أن هذا التأثير يستمر ويدوم طويلا إلى أن يصل إلى الهدف، لأن وسائل الإعلام تقوم بالعملية بطريقة متكررة ومتنوعة للإقناع، ولا يمكن لأي واحد منا، أن ينفي أثر التكرار المستمر في التعود على الأشياء وجعلها طبيعية في سيرورة الحياة الاجتماعية، من هنا يمكننا أن نطرح التساؤلات التالية:

---

[1] - أستاذة بقسم علم الاجتماع، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

كيف يمكن تحويل الحديث عن الجنس إلى سلوك اجتماعي ؟

هل يمكن أيجاد لغة تواصل تتناسب والتطورات العلمية الحاصلة في المجتمع العربي؟

إذ يعتبر موضوع الجنس من المواضيع التي تثير الكثير من الجدل حولها، ذلك أن التطرق إليه يثير كثيرا من السلوكات التي غالبا ما تعبر عن تصورات ونظرة الأفراد له، والتي تتجه في معظمها إلى الضيق والحرج منه ورفضه، وحتى الاستنكار من ذاكريه أو الذين يتطرقون إليه، كما أن مجرد ذكر كلمة جنس يشير إلى عدة مفاهيم.

وتحاول التربية الأسرية أن تجعل أفرادها يعتبرون الجنس شيء خاص بالكبار، والذين هم مقبلون على الزواج دون غيرهم، ومع حدوث تغيرات اجتماعية في المجتمع الجزائري وخاصة من حيث مجال الاتصالات فيما بين الأفراد واتساع دائرتها، وبعد خروج المرأة للدراسة ثم العمل، وبعد ظهور وسائل الإعلام والفضائيات بعدها، أصبحت تلعب دورا كبيرا في نقل المعلومات، وأيضا على إعطاء نوع من الثقافة الجنسية، يمكننا أن نتساءل عن مدى نجاح هذه التربية الأسرية التقليدية في ترسيخ المفاهيم والمعتقدات الخاصة بها في ظل الكم الهائل من الفضائيات التي تبيح الكثير من المواضيع التي ظلت طابوهات لمدة طويلة من الزمن ؟ .

فالقنوات الوافدة الغربية خاصة تبث بواسطة هيئات تجارية تستهدف الربح في المقام الأول، ولذلك تقدم برامج تتسم بالإثارة، كما أن البعض منها يتضمن برامج تتنافى مع ثقافة الوطن وتقاليده.

فالإعلام والاتصال أسلوب ووسيلة تتكون بهما ومن خلالهما العلاقات الإنسانية، وبالتالي جانب من التنشئة الاجتماعية يمارس بواسطة هذه الوسائل، لكنها لا تساهم في تشكيل بعض جوانب الطفل عن نفسه، بل تعمل على تعطيل بعض قدراته وإمكانياته في التفكير، لأنها حولته إلى إنسان مستقبل وقادت تفكيره إلى استقبال الأفكار والحلول الجاهزة، وتأثير لفضائيات في الوقت الحالي يكون بطريقة غير مباشرة في عملية التنشئة، ذلك أنها تتوجه للفرد من أجل تسليته والترفيه عنه أولا، لكنها عبر ما تقوم به من خلال هذه التسلية تحمل أفكارا ومعتقدات ينقاد لها المشاهد خاصة الطفل،بأسلوب عاطفي، أكثر منه عقلي،بما لها من عناصر التشويق والإثارة.

وقد تطورت بيئة المعلومات والإعلام على مدى العقدين الأخيرين في العالم العربي بشكل واسع وسريع، وبذا تهيأت للناس في العالم العربي وسائل وقدرات أعظم بكثير لتبادل الأفكار مما كان متاحاً لهم من قبل. وقد كان لهذا التغير في البيئة المعلوماتية انعكاسات واسعة بالنسبة للمجتمعات العربية، لاسيما وأن برامج هذه الفضائيات المختلفة المفتوحة على كل المتناقضات والتي أصبحت الموجّه الأول للأطفال والشباب بما تقدمه من مسلسلات أجنبية وبرامج مستوردة ومضامين ومفاهيم متباينة. ولا يمكن هنا أن ننكر دور التكنولوجيا والفضائيات في تطوير معارف الأفراد صغارا وكبارا على السواء وتعليمهم وتوسيع مداركهم، كما لا يمكن أن ننسى أيضا التأثير السلبي لهذه التكنولوجيا في إكساب أفراد المجتمع سلوكيات ضارة وقيما وأفكارا بعيدة ومختلفة عن مجتمعاتنا، فالفضائيات تقدم معلومات جاهزة ومحددة في إطار معين والتي لا تساعد على تنمية روح الخيال والابتكار لدى الصغار.

والتلفزيون الفضائي من أهم وسائل الإعلام التكنولوجية وأخطرها في الوقت الحالي خصوصا على الأطفال، وتتميز هذه الوسائل بقدرتها الفائقة على جذب الكبار قبل الصغار بما تحويه هذه التقنية من صوت وصورة ودقة في الأداء عند العرض، وتكمن خطورة هذه التكنولوجيا فيما تعرضه من مضامين ورسائل لعقول الأطفال ونلاحظ أنّ التلفاز يحاول جذب الأفراد إلى عوالم مثيرة صاخبة من مخلوقات وحركات غير منطقية تتحدى كل قوانين الحركة والزمن والحياة.. ومعظم هذه البرامج تكون مستوردة من الدول الأجنبية، فهذه الفضائيات تقدم برامجها(من رسوم متحركة،ومسلسلات وأفلام) وفق منظورها الخاص ولا يمكن للفرد الجزائري أن يتقبل كل ما يشاهده على الفضائيات فلكل مجتمع عاداته وتقاليده يتربى وسطها ومن الصعب تغيير هذه القيم بعرض رسائل معينة في برنامج الفضائيات.

لكن ومع ذلك لا يمكن إنكار الخطر الذي تحدثه، وسائل الإعلام التي أصبحت تمثل القوة الأكثر تأثيرا في توجيه سلوكات الأفراد، وقد خضعت مسألة تأثيرات وسائل الإعلام في المتلقين والتقييم المستمر لسلوكياتهم بهدف التعرف على التغيرات الحاصلة في مستوياتهم المعرفية وعواطفهم ومواقفهم وآرائهم وأفعالهم، لمعايير دقيقة[2]، والتلفزيون الذي أصبح الجهاز الأكثر استعمالا، لأنه ينقل الخبر بالصوت والصورة معا وكأنك تعيش أو تعايش ما هو كائن، لاسيما بعد تطور استعمال الأقمار الصناعية فهي وسيلة جديدة من وسائل الإقناع فالتلفزيون كوسيلة إعلام يساهم في ذلك، فحسب M. Bohler ET George M. Beal،[3] أن الإقناع يتم من خلال الإدراك فالاهتمام، التقويم والتجريب أو المحاولة،وأخيرا الممارسة والتبني.

وذلك يتم من خلال هذه المراحل، فالفرد يدرك للمرة الأولى الفكرة الجديدة والتي قد يسمع عنها لأول مرة ثم يهتم بها من خلال بحثه عن تفصيلات أكثر حولها،ثم يقوم في مرحلة أخرى بعملية التقويم والتي يبدأ في التأكد من ضرورتها وهل تحقق أهدافه، ويربط بين ظروفه الشخصية وبين ما تحصل عليه من معلومات،وقد يلجأ إلى جماعته الأولية وأصدقائه ،حتى يصل إلى قرار بتقبل الفكرة أو رفضها، فإذا تأكد من فائدتها بدأ في عملية تجريبها، وإذا حققت له التجربة نفعا، تبناها السلوك وأصبحت جزء من حياته،

وإذا نظرنا إلى الشباب الجزائري وما تقدمه له القنوات الفضائية من مشاهد مثيرة جنسيا تتنافى والقيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري فكيف يكون الحال؟ فهي دخلت عالمه وخياله وبدأت تؤثر بشكل كبير على شخصيته وسلوكه لما تحويه من وسائل تسلية ولهو وثقافة وأدوات متعة.

لكن المشكلة تبدأ من عدم وجود توجيه وتوعية للشباب بشكل صحيح ويؤدي بدون شك إلى الاستخدام السيئ للتكنولوجيا. كما أن غياب الوعي الأسري والرقابة المطلوبة من قبل الأسرة تجعل عملية السيطرة على الشباب صعبة جدا ولقد بدأنا الآن نسمع عن الكثير من التجاوزات والانحرافات والأخبار السيئة التي بدأت تقلق علماء الاجتماع والنفس على حد سواء لما لهذه الظاهرة من انعكاسات سيئة على المجتمع ومستقبل الأجيال

---

(2) - أرمان وميتشال ماتلار، 2005، *تاريخ نظريات الاتصال*. (تر: نصر الدين لعياضي، الصادق رابح)، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص 51.

(3) - عجوة علي، 1985، *دراسات في العلاقات العامة والإعلام*، القاهرة :عالم الكتب،ص 25.

القادمة، نقطة أخرى يجب الإشارة إليها وهي مسألة غياب شبه التام للبرامج العلمية والتكنولوجية في الفضائيات العربية وكذا الغياب شبه التام للبرامج الموجهة للشاب الجزائري في الفضائيات العربية، واقتصارها على عرض للبرامج المعدة والمهيأة خصيصا لمجتمعات غير مجتمعاتنا لما يحويه بعضها من مواضيع فيها الكثير من الإساءة إلى عاداتنا وتقاليدنا العربية والإسلامية وإلى قيمنا الأصيلة، (ستار العرب، ستار أكاديمي وغيرها).

ومع التطورات التكنولوجية التي دخلت في جميع نواحي حياتنا وأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا فلا يمكن أن نتصور كيف يمكن أن نعيش بدون الفضائيات، فهي في كل مكان نتواجد فيه.

هل نتصور أمام هذه المتغيرات أن يظل الشباب الجزائري ملتزما بالقيم الاجتماعية والتقاليد العربية الإسلامية؟! لا سيما مع الكم المعرفي الهائل الذي يقدم له من طرف وسائل الاتصال المختلفة.

وقد يستهين البعض بما يرغب الشباب في معرفته عن الأمور المتعلقة بالجنس على اعتبار أن التربية الأسرية والدينية قد فصلت في الموضوع من خلال المنع ورفض التحدث فيه على عكس الواقع الذي يثبت العكس، فنجد الشباب يتجه إلى الفضائيات الغربية، ولا يمكن الاستهانة أيضا بما تقدمه بعض الفضائيات العربية من أفلام ومشاهد ترتبط فيها شخصياتها بالسلوك الجنسي، على اعتبار أنَّ ما يراه هو نوع من اللهو والترفيه أو الفن الراقي، لكن العديد من الدراسات تؤكد أن كثرة المشاهدة التلفزيونية تؤدي بالمشاهد إلى صعوبة التفرقة بين الخيال والواقع، ذلك أن ما كان يتعرض له الفرد في عدد من السنوات اجتماعيا يواجهه في لحظات معدودة من الزمن الإعلامي، فبعض المفردات والصور تقدم للفرد الناشئ في الزمن الاجتماعي على مراحل، مراعاة لدرجة نضجه نفسيا وروحيا وجسديا. أما الزمن الإعلامي فيخترق جل هذه الحدود ويقفز فوق هذه المراحل، مما يجعل الفرد يحاول الخروج أو الإفلات من هذا الوضع ينتقل أو يقفز أو يلجأ أو يهاجر أو يتحول إلى ما سماه عبد الرحمن عزي بالخيال الذي يسعى الإنسان من خلاله إما إلى الاقتران بالحق أو الذوبان في ظلمات الحياد عن ذلك ومن ثم التدمير الذاتي والاجتماعي معنويا وماديا.

ويمكن تفصيل الزمن الاجتماعي بأن الفرد يصبح جاهزا فيزيائيا وجسديا للقيام بالوظيفة الجنسية لكنه بالمقابل غير قادر اجتماعيا على الزواج إما لمزاولته الدراسة أو لعدم توفر الإمكانيات المادية للزواج، مما يلحق فارقا زمنيا واضحا تحاول التربية الأسرية احتواءه من خلال ما تقدمه للفرد من خلال التنشئة الاجتماعية المبنية على الأسس الدينية، لكن وسائل الإعلام تقفز على هذه الاعتبارات وتعتمد في إنتاجها للبرامج على تلبية حاجيات كثيرة ومتنوعة ومعتمدة على معايير إنتاجية موحدة في إشباع هذه الطلبات، وكما أسلفنا الذكر سابقا، في غياب الرقابة الأسرية والوازع الديني القوي، لا يمكن السيطرة على ما يشاهد من طرف الأفراد.

كما أن القنوات الفضائية العربية الغنائية خاصة تقوم بمحاكاة القنوات العالمية من حيث الإبهار للبصر دون مراعاة لنوعية البرامج المقدمة، لأن هدفها أصبح جلب عدد كبير من المشاهدين لضمان استمراريتها، وعليه فهي تعمل على جذبهم مهما كانت الوسيلة.

إذن كيف يمكن تحويل الحديث عن الجنس إلى سلوك اجتماعي من خلال فضائيات لا بد أن تتحكم فيها المرجعية التي ننتمي إليها ؟

هل يمكن أيجاد لغة تواصل تتناسب والتطورات العلمية الحاصلة في المجتمع الجزائري؟

إن التعرض للجنس داخل الأسرة، يعتبر ممنوعا اجتماعيا، بدء ومرورا بالتربية الأسرية التي تقوم على التفريق بين الجنسين في العملية التربوية، ومدى تأثير هذه التربية على تكوين شخصية الفرد واتجاهاته.

- **التربية في الأسرة**

تقوم التربية الأسرية في الأسرة على التفريق بين الجنسين فالذكر يبقى أحسن مكانة من المرأة، لأنه يمثل القوة والحامل لاسمها، والمرأة تشكل قوة خطرة يجب ردعها، فحسب نفيسة زردومي أن التفريق بين الجنسين يقوم على أنه لا يجب على المرأة أن تخرج إلى الشارع لوحدها، ولا أن تكلم غريبا، ولا أن تنزع الستار عن وجهها ولا أن يراها رجل غريب، أو أن تظهر عارية اليدين، أو أن تتزين أمام رجل، في حين أن الرجل يمنع أن يسلم على المرأة أو أن يكلمها أو أن يُلمِح لها بحبه. [4]

وهكذا فالأنثى في الأسرة تفرض عليها قيود كبيرة وفروقا اكبر ببنها وبين الذكر بدا من منعها من الخروج إلي الشارع « فبقاء المرأة في الداخل مدعم ومحكوم بعنف من الرجال الذين مكانهم في الخارج ...وهدفهم هو الحفاظ على الانسجام الذي يضمن حياة المجموعتين »[5] هي تبقى في البيت لضعفها النفسي والجسدي ولسهولة انقيادها وانصياعها فلذلك فهي تشكل خطرا فجسمها يعتبر عيبا Tabou. [6]

كما تتعلم الأنثى كيف تطيع وترضخ لرغبات أخيها حتى ولو كان اصغر منها فهو الرجل ويعلم هو كذلك انه توجب طاعته « يتعلم الصبي بسرعة جعل أخواته تحت تصرفه وتضمن له أمه ذلك فكل رغباته مجابة »،[7] كما تتعلم منذ صغرها القيام بالأعمال المنزلية وتتعلم المحافظة على جسدها وخاصة على شرفها فلا يجب أن تحدث أحدا غير أخواتها وتتحمل الأم مسؤولية تربية الأنثى «فتقوم الأم بتعليم ابنتها الانصياع والخضوع مجبرة وقهر شخصيتها وكسر كل يقضة للتحرر»[8] كما تعمل على تعليمها بأنها في خطر كلما كبرت في السن وأنها أيضا تمثل خطرا .

وبهذه الطريقة تجبر الأم ابنتها على قبول وضعها الذي تعيشه إلى أن يحين موعد زواجها أين تتغير وضعيتها، وإلى أن يحين ذلك الموعد تصبح الأنثى تحت مراقبة صارمة خاصة بعد ظهور الحيض لديها الذي في

---

(4)- Zerdoumi Nafissa, 1982, *L'enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel Algérien*, Paris : François Maspero, p 263.

(5) -Medhar Slimane, 1992, *Tradition contre développement*, Alger : edt E.N.A.P, p57.

(6)- Ipid, p55.

(7)- Naaman Guessous Soumia, 1999, *Au-delà de toute pudeur, la sexualité féminine au Maroc*, Maroc, 4éme .edt EDDIF, p 17.

(8)- Lacoste Dujardin Camille, 1990, *Des mères contre des femmes, maternité et patriarcat au Maghreb*, Alger : edt Bouchène, p 71.

الغالب لا تكون تعرف عنه شيئا، والذي تعيشه بكثير من الخوف أو الهلع الناتج عن اعتقادها بأنها فقدت عذريتها وغالبا ما تتجه إلي إحدى صديقاتها أو جاراتها لتصحيح معلوماتها والاطمئنان على سلامتها

ومنذ هذه اللحظة يبدأ التحذير المتكرر وبكل الأشكال، تحذير الأنثى من أن يقترب منها أي رجل دون تحديد لهذا الاقتراب ونوعه فتتعلم أن تحفظ نفسها من أجل رجل هو زوجها والذي يعتبر العذرية حق من حقوقه فالعذرية وضعت تحت مراقبة اجتماعية صارمة. [9]

ولأنها تحذر من كل شيء له علاقة بالجنس فهي تنشأ على ذلك إلي غاية زواجها، وتبقى متأثرة به ،وفي الغالب زواجها هذا تبقى الوحيدة التي يكون آخر من يعلم، فغالبا ما ينسى أن يؤخذ برأيها في الموضوع، وفي هذه اللحظة تتكفل إحدى قريباتها العمة أو الخالة أو الأخت الكبرى بإخبارها عن كل ما كان ممنوعا عنها طوال حياتها، وتبدأ بإخبارها عن العلاقة الجنسية وكيف تحدث « ولكن هناك درس واحد وأساسي يعطى لها من طرف المحيطات بها، وهو عدم الفاعلية أي عدم المشاركة الإيجابية في العملية الجنسية passivité »،[10] إذ ليس من اللائق أن تحس المرأة بأي إحساس وهكذا تعود وتتكرر سيطرة الرجل على المرأة وبفضل المرأة نفسها، فالمرأة يجب عليها الخضوع «فكل فعل منها يؤدي إلى علاقة مع زوجها يعتبر غير لائق فمثل هذا السلوك لا تقوم به إلا البغايا أو الزانيات». [11]

ولا يتحقق نقاء المرأة وطهارتها إلا بعد فض البكارة التي هي موضوع امتحان أمام الجماعة [12] وهكذا نجد المرأة تعيش تناقضا اجتماعيا فهي يجب أن تكون عفيفة طاهرة لا تحس ولا تشعر بالجنس ولكن يجب عليها أن تكون مطيعة لزوجها وترضيه، فجسدها عورة، يجب إخفاؤه بمقاييس الأخلاق ومباح بمقاييس الزواج.[13]

وهذا وإن كان المجتمع والأسرة لا يفرضان مراقبة صارمة على جنس الرجل وحياته الجنسية كما يفرضها على المرأة، لكنه —الرجل– مع ذلك يجد كل الضغوطات موجهة نحوه ليلة الزفاف، من حيث أنه مطالب بإثبات رجولته أمام الجميع، «فليلة الزفاف هي المناسبة التي يختبر فيها الرجل رجولته». [14]

هذا ما تحاول التربية الأسرية أن تجعل عليه أفرادها في الأسرة، من حيث أن الجنس شيء خاص بالكبار، والذين هم مقبلون على الزواج دون غيرهم. ومع حدوث تغيرات اجتماعية في المجتمع الجزائري وخاصة من حيث مجال الاتصالات فيما بين الأفراد واتساع دائرتها، وبعد خروج المرأة للدراسة ثم العمل، وبعد ظهور وسائل الإعلام التي أصبحت تلعب دورا كبيرا في نقل المعلومات، وأيضا على إعطاء نوع من الثقافة الجنسية، يمكننا أن نتساءل

---

[9]- (Ibid, pp 72, 73.

[10]- Ibid, p 77.

[11]- (Ibid, p 145.

[12] - بوحديبة عبد الوهاب،2000، *الجنسانية في الإسلام*، (تر: محمد على مقلد)، تونس: سراس للنشر، ص .241.

[13] - باسمة الكيال، 1983، *سيكولوجية المرأة*، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ص 388.

[14] - بوحديبة عبد الوهاب، مرجع سابق، ص240 .

عن مدى نجاح هذه التربية الأسرية التقليدية في ترسيخ المفاهيم والمعتقدات الخاصة بها، لكن قبل ذلك نرى أنه من الضروري أن نتحدث كيف تعمل الأسرة على التأثير على أفرادها.

- **تأثير الأسرة في تشكيل شخصية الفرد:**

يمكن إرجاع الكثير من مظاهر التكيف أو عدمه التي تظهر في سلوك الأفراد إلى نوع العلاقات الاجتماعية التي تسود أفرادها والتي هي أساس المعاملة بين الابن ووالديه، فالأسرة هي المجال الأول الذي ينشأ فيه الفرد ويتعلم الكثير من الخبرات والمهارات ومختلف الأشياء التي تلقى قبول المجتمع أو رفضه، وذلك من خلال علاقاته مع مختلف أعضاء الأسرة، وعليه فإن الأسرة هي المجال الأول الذي يساهم في تشكيل ميول واتجاهات الفرد.

وعليه فالأسرة في مجال الجنس تحمل اتجاها معينا وهو سكوتها وتكتمها حول كل ما يتعلق بالموضوع وتجنبها الحديث عنه لتجنب المشاكل التي يمكن أن تحدث بتناوله، لكن الفرد عند ما يصل إلى مرحلة عمرية معينة، فالبلوغ وما يحمله من صفات المراهقة، فإن الفرد لا يمكنه أن يتجنب الجنس لأنه يصطدم به لكونه حقيقة تتصل به وبذاته، فيعود ويتذكر أن أولى العمليات التي تعلمها للتحكم في جسمه، كانت في غالب الأمر مؤلمة، فهو يتعلم عملية التحكم في الإخراج (التبول والتغوط) بالقوة والعنف[*]، وبعد ذلك يجبر على ستر ذلك الجزء من جسمه بنفس القوة والعنف، والعقاب.

وعليه يتعلم الطفل منذ الصغر أن التحدث أو حتى الإشارة إلى الجنس يعتبر حقيقة مؤلمة، ولكنه عندما يصل إلى مرحلة المراهقة يجد نفسه مجبرا على التعرض للجنس، من خلال ما يتعرض له جسمه من تغيرات خارجية، وربما يعتقد أن ما يحدث له إنما يحدث له دون غيره، وربما لخطأ قام به، ويكتم الأمر ويعيشه على أعصابه دون أن يستطيع الاستفسار عما يحدث له. لأن المرحلة التي وصل إليها هي الأخرى حرجة وتحمل العديد من الإحساس والشعور بالحرج وربما الدونية، إذ يصبح الفرد المراهق حساسا لكل ما يحيط به، وبالتالي يعيش المراهق في الأسرة المشكلين معا، فهو لا يمكنه التحدث عن الجنس، ولا يمكنه التحدث عما يجري له في جسده لأن هذا مرتبط بذلك وإلى أن يصل إلى سن الرشد والشباب يكون قد مر بالكثير من المصاعب التي تجعله يبحث عن أي مصدر مهما كان، يمكنه من خلاله أن يفسر ما يحدث له، ولا يمكننا التحكم في المصدر الذي يعتمده الفرد في تصحيح معلوماته، لأننا لا نملك رقابة على الفرد طوال النهار، إذ أن الفرد في الوقت الحالي أصبح يقضي معظم وقته بعد المدرسة مع الأصدقاء أو في أي نشاط ترفيهي آخر.

هكذا تبدأ عملية الصراع النفسي لدى الأفراد ذلك أن الدافع الجنسي يأتي بعد الدافع إلى الأكل والشرب، ويؤثر تأثيرا كبيرا في التوافق والصحة النفسية، فالحرمان الجنسي لا يكون سببه بيولوجي أو فيزيولوجي بل اجتماعي، فالفرد يصل إلى النضوج الجنسي بسنوات قبل وصوله إلى ما يسمح له المجتمع بالقيام به (هو الزواج) فالظروف الاقتصادية « والاجتماعية غالبا ما لا تسمح له بتحقيق رغبته وقد عبر عنها ***JERESILP***، « بأنها مرحلة

---

[*]وطفة علي، 1999 ، *مظاهر التسلط في الثقافة والتربية العربية المعاصرة*، بحث في *التواصل*، مجلة العلوم الإنسانية العدد 11، باتنة، الجزائر (7-32).

بطالة جنسية حيث يكون المراهق في كامل قوته الجنسية ومؤهلا لدور الوظيفة الجنسية، غير أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية قد تمنعانه عن ممارسة هذه الوظيفة بالزواج إلا بعد فترة ».[15]

بالإضافة إلى المرحلة التي يتخطاها الشاب المراهق وما ينتج عنها من قلق وتوتر، لاسيما أن مرحلة المراهقة تعتبر مرحلة اهتمام بالجنس الآخر، وفي المقابل عملية التربية والتنشئة الاجتماعية تصبح ذات أبعاد مجتمعية أكثر عمقا وارتباطا بالمجتمع الأكبر،[16] وبالإضافة إلى أن وسائل الإعلام وما تبثه من إعلانات وأفلام مثيرة، خاصة وسائل الإعلام الغربية، تجعل من الصعوبة التوقف عند ما تحاول التربية الأسرية العمل على ترسيخه في سلوكات وعادات الأفراد .

فنجد مثلا أسلوب التخويف الذي يعمل على إنماء نوع من الارتباك في نفسية الطفل، وذلك من خلال ما يستعمله الآباء من إلقاء اللعنة على أحد أبنائهم في حالة الخروج عن طاعتهم وهؤلاء " الأطفال غير المطيعين غالبا ما يمرضون مرضا خطيرا، أو يصبحون مشوهين أو قبيحي المنظر»[17] بالإضافة إلى أن الآباء يعتمدون أيضا على أشياء خيالية مخيفة من خلال ما يروونه من قصص لأبنائهم، بغرض أخذ العبرة مما يجعل الطفل يعيش في قلق دائم من المجهول .

كما نجد أسلوب التخجيل والإشعار بالذنب، وهذه طريقة تجعل الطفل يشعر بالدونية من خلال ما يقال له من أبويه وإخوته، بأنه أقل شئنا منهم فيشعر عندها بالإحباط ويحاول أن يفهم سبب سلوكهم نحوه، ويغير من تصرفاته حتى يستطيع إرضاءهم، لكن قد يتعنت فيصر على ما هو عليه لأنه متأكد من أنه لا أهمية له،ولن يرضى الجميع حتى وإن أراد ذلك. وهذه العمليات تشكل نموذجا من الأساليب في عملية التنشئة الاجتماعية ولا تلجأ الأسرة إلى مجال التشجيع والمكافأة إلا نادرا .

ونجد هذا الأسلوب تشجعه الأسرة حتى في المدرسة، بأن لا تمنع المدرسين من ضرب أبنائهم بشرط أن لا يتعدى ذلك إلى أضرار جسمية خطيرة وبذلك يعيش الطفل، العربي مقهورا مكرها على فعل الأشياء وعدم فعلها من غير أن يسأل أو يناقش، فالتربية الأسرية هذه تعمل على جعل أو إنشاء فرد تابع غير قادر ولا قابل للنقاش والحوار، وضعيف الشخصية، وهذا نلاحظه في الازدواجية التي تظهر في تصرفات الفرد في مسائل معينة.

فالجنس مثلا ممنوع التطرق إليه لأن الأسرة عن طريق هذه الأسباب وغيرها منعته على أفرادها، لكننا نجد الفرد يمنع نفسه أمام الأسرة من التطرق للموضوع، لكنه خارجها وبغيابها يفعل ما يريد. وهذا ما نجد *هشام الشرابي* يشير إليه أن من نتائج هذه التربية: «من هنا يتعلم الفرد أن يسكت على القهر وأن يكبت الضغينة، ومن

---

(15) - غباري سلامة محمد، 1983، الخدمة الاجتماعية ورعاية الشباب في المجتمعات الإسلامية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية، الكتاب (6)، ص 15.

(16) - السيد الشحات أحمد حسن،1988، الصراع القيمي لدى الشباب، ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي، ص141.

(17) - عجوة علي، 1985، دراسات في العلاقات العامة والإعلام، القاهرة :عالم الكتب، ص 25.

هنا تكون في الفرد صفات لها أبعد الأثر في تكوين شخصيته وتطوير أنماط سلوكه، لذلك نرى الفرد في سلوكه الاجتماعي بدلا من اعتماده على الصراحة والصدق والتعاون مع الآخرين، يميل إلى المداورة والأسلوب غير المباشر ويعتاد الدس والتمويه في تفاعله الاجتماعي» [18]

3- وسائل الإعلام والجنس

إن وسائل الإعلام اليوم أصبحت جد متطورة وعلامة من علامات التقدم والتطور، لذا نجد الأفراد يسارعون في اقتناء الأحسن منها، للحصول على المعلومات بطريقة أسرع، والتلفاز اليوم لم يعد الوحيد أو الأكثر تأثيرا فنجد وسيلة أخرى بدأ استعمالها في الحصول على المعلومات المختلفة والمتنوعة (خاصة إذا تطرقنا إلى مجال المعلومات الجنسية) وهي الإنترنيت، لاسيما وأن المتحكم فيها يستطيع الحصول على المعلومات منها متى شاء، وبأي طريقة، وفي كل وقت، فبعد أن كانت وسائل الإعلام هي التي تحدد على الأقل وقت ونوع المعلومات، أصبح الفرد الآن بإمكانه أن يحدد هو وقت ونوع المعلومات التي يريد الحصول عليها

إن كلمة إعلام مشتقة من الفعل أعلم (يعلم إعلاما) غيره بالخبر، أي أخبره به، أما لغويا فتعني نقل الخبر إلى عدد كبير من الناس، وفي هذا الصدد يقول Hernar tirro «الإعلام هو نشر الوقائع والآراء في صيغة مناسبة بواسطة ألفاظ أو أصوات أو صور، وبصفة عامة بواسطة جميع العلاقات التي يفهمها الجمهور ».[19]

وغالبا ما يرادف كلمة الإعلام كلمة الإعلام والاتصال والذي هو «وسيلة لنقل المعلومات والأفكار والتصرفات من شخص واحد إلى شخص آخر»[20] أو بمعنى آخر هو «الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين،يختلف من حيث الحجم ومن حيث محتوى العلاقات المنظمة فيه».[21]

فالإعلام والاتصال أسلوب ووسيلة تتكون بهما ومن خلالهما العلاقات الإنسانية، وجانب بالتالي من التنشئة الاجتماعية يمارس بواسطة هذه الوسائل، لكنها لا تساهم في تشكيل بعض جوانب الطفل عن نفسه، بل تعمل على تعطيل بعض قدراته وإمكانياته في التفكير،[22] لأنها حولته إلى إنسان مستقبل وقادت تفكيره إلى استقبال الأفكار والحلول الجاهزة، وتأثير وسائل الإعلام يكون بطريقة غير مباشرة في عملية التنشئة، ذلك أنها تتوجه للفرد من أجل تسليته والترفيه عنه أولا، لكنها عبر ما تقوم به من خلال هذه التسلية تحمل أفكارا ومعتقدات ينقاد لها المشاهد خاصة الطفل،بأسلوب عاطفي، أكثر منه عقلي،بما لها من عناصر التشويق والإثارة.

---

[18] - شرابي هشام، 1981، *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع، ط 3، ص 85.

[19] - إحدادن زهير، 1984، *مدخل العلوم الإعلام والاتصال*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 13.

[20] - وران.ك. أجي، فيلبس هاولسن، وإيدوين أيمري،1984، *وسائل الإعلام، صحافة، إذاعة، تلفزيون*، (تر :ميتشكل نكالا)، القاهرة: مكتبة الوعي العربي، ص 14.

[21] - عوده محمد، 1988، *أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي*، دار النهضة العربية، بيروت، ص 5.

[22] - معن خليل عمر، 2000، *علم اجتماع الأسرة*، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص 128.

وذلك يتم من خلال هذه المراحل، فالفرد يدرك للمرة الأولى الفكرة الجديدة والتي قد يسمع عنها لأول مرة ثم يهتم بها من خلال بحثه عن تفصيلات أكثر حولها،ثم يقوم في مرحلة أخرى بعملية التقويم والتي يبدأ في التأكد من ضرورتها وهل تحقق أهدافه، ويربط بين ظروفه الشخصية وبين ما تحصل عليه من معلومات،وقد يلجأ إلى جماعته الأولية وأصدقائه ،حتى يصل إلى قرار بتقبل الفكرة أو رفضها، فإذا تأكد من فائدتها بدأ في عملية تجريبها، وإذا حققت له التجربة نفعا، تبناها السلوك وأصبحت جزء من حياته، فإننا لو حاولنا تطبيق هذه المراحل على المعلومات الجنسية باعتبار أن وسائل الإعلام تعمل دائما على نشر معلومات جديدة، سنجد أن الفرد الذي قد يكون جاهلا بالمعلومات الجنسية عندما يحصل على أول معلومة يبدأ اهتمامه بالجنس يتزايد ويبدأ بالبحث عن أفكار ومعلومات جديدة حوله، ولأن المرحلة الثانية هذه لا تحتاج إلى عملية تقويم كبيرة وطويلة، لأن المعلومات الجنسية مهمة في نظره، وهو متأكد من أنه على صواب في البحث عنها، وعلى الأقل لا يقف أولا يريد أن يكون جاهلا بمثل هذه الأمور، بالإضافة إلى إمكانية استمتاعه بالبحث عنها، ولا يمكن القول أننا نبالغ إذا قلنا أن الفرد يبدأ بتجريب ما يشاهده، والذي يمكن أن يكون من خلال الحلم، الاستمناء، الانحراف الجنسي، أما الحلم أو الاحتلام فهو انعكاس لتفكيره والذي قد تعود بعض الصور في ذهنه، حول مشاهد جنسية رآها أو يتمنى رؤيتها، أم الاستمناء والعادة السرية فهو يعني أن يبدأ الفرد بإشباع لذته بنفسه، لأنه لا يملك الوسيلة لغير ذلك .

لنصل في الأخير إلى الانحراف الجنسي والذي يعرفه فرويد: « بأنه لذة منفصلة عن الفعل التناسلي، ولكنها في الوقت نفسه لذة لا ترضى عنها المعايير السائدة في أي حضارة » [22] ،[23] وعليه فإن الانحراف الجنسي هو ما يمكن أن نسميه بالنسبة للمراحل السابقة بالمرحلة الأخيرة وهي تبني الفكرة والتي تظهر من خلال السلوك، إن لم يكن في مقدور هذا الفرد الزواج .

لكن يبقى أنَ تبني هذه الفكرة مرهون بالصراع الذي ينشأ داخل الفرد من حيث إحساسه بالخطأ وربما احتقاره لنفسه، وهنا يبدأ التوتر النفسي، وهذا ما يقوم به الإعلام، ويساعد على تسريعه، كما سماه عزي عبد الرحمن[24] المخيال الإعلامي والذي هو حالة تتضمن المشاعر النفسية الاجتماعية التي تتكون بفعل ما يتعرض له الجمهور" العربي الإسلامي عامة " من محتويات وسائل الاتصال من جهة، وبفعل ما يحمله هذا الجمهور من مخزون تراثي وأسطوري من جهة أخرى، فالتلفزيون يحمل آثارا واسعة، وعندما نتحدث عن التلفزيون فإننا نقصد به البرابول، لأنه ينقل الأحداث والمعلومات بالصوت والصورة،ويشد اهتمام كل حواس الأفراد،لذا فقد أخذ منذ ظهوره حيزا ومجالا واسعين، ذلك أنه يمكنه القيام بتغيير قيم وآراء الأفراد على المدى الطويل، خاصة وأن برامجه متكررة، فهو ينقل الفرد بعاداته وتقاليده وطرق معيشته إلى كل مكان وإلى كل بلد، فيجعله يقارن بينه وبين العالم

---

[23] - السيد الشحات أحمد حسن، مرجع سابق، ص141.

[24] - عزي عبد الرحمن، 1995، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية: بعض الأبعا د الحضارية. الجزائر: دار الأمة، ط 1، ص155.

الذي يريه التلفاز، ويبرز التأثير خاصة إذا كان الفرد يعيش وضعا أقل مكانة مما يريه التلفاز، ومن ذلك فهو يؤثر سلبيا إذ تظهر«ظاهرة المحاكاة لأنماط غير ملائمة لظروف المجتمع، مما يؤدي إلى غياب المفهوم الثقافي ». [25]

إن الفرد والمجتمع وهو يحاول الخروج أو الإفلات من هذا الوضع غير السوي بطبعه أو من جراء تدخل الإنسان ينتقل أو يقفز أو يلجأ إلى استعمال الخيال –الخيال هو ما يبتعد عن الوضع من أجل أن يقترب منه–، وهنا نستعمل الخيال ليس بمعنى ما يثيره من سلبيات في المخيال الاجتماعي ولكن كإطار علمي معرفي يسعى الإنسان من خلاله إما إلى الاقتران بالحق أو الذوبان في ظلمات الحياد عن ذلك ومن ثم التدمير الذاتي والاجتماعي معنويا وماديا. [26]

ويمكن أن نجد هذا واضحا من خلال دراسة أجريت سنة 1994 شملت أربع (4) ولايات من الجزائر، هي: *الجزائر، البليدة، عنابة، المسيلة*، وشملت 664 شابا ثانويا، يدور موضوع الدراسة الميدانية هذه حول « الشباب الجزائري وبرامج التلفزيون الأجنبي»،[27] والتي أظهرت نتائجها التأثيرات التي تحدثها برامج البرابول على الشباب حيث أن « 34,46 % من العينة، أكدوا تغييرهم لأخلاقهم وأفكارهم وسلوكاتهم السابقة عند مشاهدة البرابول... وأن 18,15 % منهم تبنوا أفكار وأخلاق وسلوكات البرابول»،[28] وعليه يمكن القول حسب *جورج جيربز* « إن التلفزيون قد استطاع أن يغير وجه الحياة السياسية في البلاد ويبدل العادات اليومية للشعب ويكيف أسلوب الحياة... ». [29]

ومن نتائج الانفتاح على النظام الرأسمالي والحرية الشخصية، ظهرت سلوكات جديدة في المجتمع دعمها التطور الحالي للمعلوماتية، فنجد أن الانترنيت فقط في الدول المتخلفة كالجزائر لا تستعمل لغرض علمي بحت، فالانترنيت وهي شبكة معلوماتية تربطك بالعالم، هي الآن عندنا وعند البعض تستعمل مثلها مثل البرابول، بل وربما بأكثر حرية، فالفرد هو الذي يحدد طبيعة ما يرى وقت ما يريد، لاسيما وأنها أصبحت في متناول الجميع، ولأن غرضها تجاري (بالنسبة لأصحاب المحلات) فأصبح معروفا لدى الشباب ومن مختلف الأعمار، المحطات "Sites " التي تبث المعلومات الجنسية، وربما خطرها يكبر لأن بإمكان الأطفال الدخول إلى هذه المحطات لسهولتها ودون مراقبة، ولأنهم يدفعون أجرا فلا أحد يحاسبهم، ليس كالتلفزيون فحسب الدراسة السابقة، فإن 60,84 % من أفراد العينة أكدوا مراقبة أوليائهم وتوجيههم لهم عند مشاهدتهم برامج القنوات الأجنبية ،[30]

---

[25] - عبد الله بوجلال، 1994، *آثار التلفزيون على المشاهدين*، بحث في مجلة بحوث مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر،العدد (2)، (ص ص 75-105)، ص81.

[26] - المرجع نفسه، ص 161.

[27] - عبد الله بوجلال، 1995، *الشباب الجزائري وبرامج التلفزيون الأجنبي*، بحث في مجلة بحوث مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر،العدد (3)، (ص.ص 31-57).

[28] - المرجع نفسه ، ص50.

[29] - عبد الله بوجلال، *آثار التلفزيون على المشاهدين*، المرجع السابق، ص75.

[30] - عبد الله بوجلال ، *الشباب الجزائري وبرامج التلفزيون الأجنبي*، مرجع سابق، ص 45.

كما ذكر 42,23 % من أفراد البحث أن الأفلام التي تمنع عنهم هي الأفلام الفاضحة وغير الأخلاقية،...[30].
[31]

وحسب دراسة ماجستير في علم الاجتماع أجريت سنة 2000 شملت 132 مراهقا بمنطقة البليدة الجزائر، حول "إشكالية التربية الجنسية في الأسرة الجزائرية"والتي أظهرت نتائجها" أن 95% من العينة أكدوا أن المعلومات الجنسية تنقل عن طريق وسائل الإعلام وأن 89 % من العينة ذكروا أن التلفزيون هو الوسيلة الأكثر استعمالا للحصول على المعلومات الجنسية ، ذلك أنه يمكّن الأفراد من الحصول على المعلومات بالصور وبطريقة مفصلة وذلك بنسبة 33 % ".[32]

إن التلفزيون وسيلة تكاد تسيطر على حياة الأفراد في توجهاته ومواقفه وسلوكاته إلى درجة لا يكاد الفرد يحس بذلك ، وكما يعبر عن ذلك عبد الرحمن عزي،[33] إن التلفزيون "يبيع" صورا مادية مصنعة عن جسم الإنسان وأزيائه وممتلكاته، وهذه الأخيرة تتحول إلى مؤثرات يتبناها المشاهد (إذا غابت عنه القيمة) ويسعى جاهدا أن يمتثلها من خلال المرئي في التلفزيون، فوسيلة التلفزيون تضعف إدراك الفرد للحقيقة.

كما يمكن القول أيضا أن سوء استخدام الزمن الإعلامي[34] يؤدي إلى إهدار القيم أو تحييدها، فغالبا ما يستعمل الانترنيت مثلا للبحث عن الجنس الأخر والتي لا يكون الغرض منها تكوين علاقات دائمة وحقيقية.

وكنهاية لهذا العرض يمكن أن نرى مدى تأثير وسائل الإعلام في نقل المعلومات الجنسية، لكنها تقوم بذلك بطريقة سلبية أو أن الأفراد هم من يسيء استعمالها، ، فهذه الوسائل تساعد على تعزيز الموقف المزدوج لدى الفرد والمتمثل في إنتاج سلوك جديد يوافق القواعد التنظيمية الموجودة في الأسرة والمجتمع وهو ما يمكن تسميته بالسلوك العقلاني، فهو يقوم باحترام القواعد المفروضة ظاهريا لكنه مع ذلك لا يريد الامتناع عن الحصول على المعلومات الجنسية ويقوم بذلك بطريقة سرية منفردة في الغالب، والتي إن لم تجد التوجيه الصحيح دخل الفرد في مرحلة الانحراف والإدمان الجنسي.

---

[31] - نفس المرجع، ص 47.

[32] - سيدي موسى ليلى، 2001، *إشكالية التربية الجنسية في الأسرة الجزائرية (دراسة ميدانية لتلاميذ ثانوية بمدينة البليدة)*، رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر. (غير منشورة).

[33] - عزي عبد الرحمن، الإعلام والبعد الثقافي: من القيمي إلى المرئي، بحث في المجلة الجزائرية للاتصال، جامعة الجزائر، العدد (13)، (جانفي/ جوان) مجلة نصف سنوية أكاديمية محكمة متخصصة تعنى بأبحاث الإعلام والاتصال، (ص ص95-113) .

[34] - عزي عبد الرحمن، الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية، المستقبل العربي (64-48).